وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال الله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾ (٤)

وقال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (٥)

وقال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » (٦)

وقال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان » (٧) .

- وفى الحديث القدسى « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها »

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٨ .
(٢) آل عمران آية رقم ١٢٣ .
(٣) المزمل آية رقم (٨) .
(٤) الآية رقم ٦٩ من سورة العنكبوت .
(٥) رواه البخارى عن ابن عباس .
(٦) رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٧) رواه مسلم عن أبى هريرة .

لله در القائل :

إن لم تكن للحق أنت فمن يكون
والناس فى محراب لذات الدنايا عاكفون

● قال العلامة ابن رجب الحنبلى فى كتابه « لطائف المعارف » :

« لمّا سمع القوم قول الله عز وجل ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ وقوله ﴿ **وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملا يعجز عنه خشى أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه ، فكان تنافسهم فى درجات الآخرة واستباقهم إليها ، ثم جاء من بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم فى الدنيا الدنيئة وحظوظها القانية »

● قال الحسن : «إذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة »

وقال رحمه الله « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومَنْ نافسك فى دنياك فألقها فى نحره »

● وقال وهيب بن الورد : « إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل».

● وقال بعض السلف : « لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه ، فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب » .

● وقال أحدهم : « لو أن رجلا سمع برجل أطوع منه لله كان ينبغي أن يحزنه ذلك » .

● وقال رجل لمالك بن دينار : « رأيت فيما يرى النائم مناديا ينادى : الرحيل الرحيل ، فما رأيت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه ...

﴿ **والسابقون السابقون أولئك المقربون** ﴾ .

قيل لبعض المجتهدين فى الطاعات : لم تُعذّب هذا الجسد ؟

قال : كرامته أريد

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسامُ

صاحب الهمة العلية ، والنفس الشريفة التوّاقة لا يرضى بالأشياء الدنيئة الفانية ، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية .

قال عمر بن عبد العزيز : « إن لى نفساً توّاقة ، ما نالت شيئا إلا تاقت إلى ماهو أفضل منه ، وإنها لما نالت هذه المنزلة ـ يعنى الخلافة ـ وليس فى الدنيا منزلة أعلى منها ، تاقت إلى ما هو أعلى منها ـ يعنى الآخرة ـ

على قدر أهل العزائم تأتى العزائم

وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد نصب على جهنم وهى تزفر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار ، قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك فوقع مغشيا عليه ، وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه : رأيتك والله قد نجوت »[1]

أخى : « لمّا علم الصالحون قصر العمر ، وحثهم حادى « وسارعوا » طووا مراحل الليل مع النهار انتهابا للأوقات . اصغ سمعك لنداء ربك ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾ وبادر طىّ صحيفتك ، واحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى ، وشمّر للسباق غدا ، فإن الدنيا ميدان المتسابقين . واعلم أنما خلقنا لنحيا مع الخالق ، ونافس فى الفردوس فإن الرحمن جل جلاله قد غرس غراسه بيده .

يا إخوتاه : سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً .

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ طبع دار الفتح .

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا
ونحن قعود ما الذى أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم
صريع الأمانى والغرام ينازع
على نفسه فليبك من كان باكيا
أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

● كن بقلبك بل بكلّك مع القوم الذين قال عنهم شيخنا ابن القيم « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » :

« رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه ، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع.مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ولا ينفد ، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرًا ، وإنْ سر يومًا أحزن شهورًا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته أوله مخاوف ، وآخره متالف .

فيا عجبا من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباق النفيس . وباع جنة عرضها الأرض والسموات ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات .

● ومساكن طيبة فى جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيّقة آخرها الخراب والبوار .

● وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان . وحورا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام . وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل ، مفسد للدنيا والدين .

ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم .

وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان .

والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد فى يوم المزيد ، بالجلوس فى الطرقات مع كل شيطان مريد .

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإنعام وادّخر لهم من الفضل والإكرام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع .

فيا عجبا لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأى شيء تعوّضت عنها نفوس المعرضين »[1] .

لقد حرّك الداعى إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبيّة ، والهمم العالية ، وأسمع منادى الإيمان من كانت له أذن واعية ، وأسمع الله من كان حيّا فهزّه السماع إلى منازل الأبرار ، وحدا به فى طريق سيره فما حطّت به رحاله إلا بدار القرار .

فحيهلا إن كنت ذا همّة فقد
حدى بك حادى الشوق فاطو المراحلا
وقبل لمنادى حبهم ورضاهم
إذا ما دعا لبيّك ألفا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإنْ
نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا

(١) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية ص ٦ – ٧ .

فلا تـنـتـظـر بـالسير رفـقـة قـاعـد
ودعـه فـإن الشوق يـكـفـيـك حـاملا
وخـذ منهـم زادا إليهـم وسر على
طـريق الهدى والحب تصـبـح واصلا
وأحى بـذكـراهـم سراك إذا دنت
ركـابك ، فـالـذكـرى تـعـيـدك عـاملا
وإمـا تخافن الـكلال فـقـل لها
أمـامك ورد الوصـل فـابـغ المنـاهلا
وخـذ قـبسـا من نـورهـم ثم سر بـه
فـنـورهـم يهديك ، لـيس المشـاعلا[1]

﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

هو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السباق وهو غاية تستحق الغلاب .

والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم ، إنما يتنافسون فى حقير قليل فانٍ قريب . والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة . ولكن الآخرة ثقيلة فى ميزانه ، فهى إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة »[2]

- واعلم رحمك الله أن « قيمة كل امرىء ما يطلب »[3] .

فهناك همة تدور حول الأنتان والحش : ذكر الله حسب صاحبها وموته ، وذكر الناس فاكهته وقوته ، ينادى إلى الله عز وجل والدار الآخرة من مكان

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية
(٢) « فى ظلال القرآن » للشيخ سيد قطب جـ ٦ ص ٣٨٦٠ طبع دار الشروق .
(٣) « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية

قريب فلا يجيب النداء ، الدنيا تصمّه عما سوى الباطل وتعميه[1]

فاستأنس بغيبته ما أمكنك ، فإنه لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وتَرَحّل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشغل نفسك إلا بما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضياع وقتك عليك ، وضعف عزيمتك وتفرق همك . وإياك وقاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضنّ بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ »[2] ولا تدرك أحبابا أنّى لك بلحاقهم .

●● وهمة أخرى : ارتبطت بمن فوق العرش جل وعلا إرادة وطلبا وشوقا ومحبة وإخباتا وإنابة ، لا مستراح لها إلا تحت شجرة طوبى ، ولا قرار لها إلا فى يوم المزيد ، كلما طال عليها الطريق تلمحت المقصد ، وكلما أمرت الحياة حلى تذكرت ﴿ **هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾[3]

أخي : قَدْ هيّأوكَ لأمرٍ لو فطنت له
فاربأْ بنفسِك أن تَرْعَى مع الهملِ

● صوّب إلى الرحيل ﴿ **يا ليت قومى يعلمون** ﴾ تلمّح القوم الوجود ، ففهموا المقصود ، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل وشمّروا للسير فى سواء السبيل[4] .

---

(١) « إغاثة اللهفان » لابن قيم الجوزية
(٢) الوابل الصيب لابن قيم الجوزية طبع السلفية
(٣) الفوائد لابن قيم الجوزية
(٤) الفوائد

● إذا طلع نجم الهمة فى ظلام ليل البطالة وردفه قمر العزيمة أشرقت الأرض بنور ربها[1] .

● من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأى شغل يشغله .

● دع الدنيا فإنها جيفة والأُسْدُ لا تقع على الجيف ، هى لا تساوى نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها[2] .

فدعها رسوما دارسات فما بها
مقيل فجاوزها فليست منازلا
رسوما عفت ينتابها الخلق كما بها
قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة منها على المنهج الذى
عليه سرى وفد الأحبة آهلا
وقل ساعدى يا نفس بالصبر ساعة
فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هى إلا ساعة ثم تنقضى
ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلا

لا تضع عصا السير عن عاتقك حتى تبدو لك أعلام دارك وخيامها وواصل السير ليل نهار فعند الصباح يحمد القوم السرى .

● كيف لا يتسارع فى يومه وغده ، سير من قطع به أمسه مرحلة نحو غايته ، ومن أيقن أنه يتبع رسولا من أولى العزم ﷺ فكيف لا يستمد منه عزمه »[3]

(١) الفوائد

(٢) الفوائد .

(٣) الرقائق ص ٤١

● النية الصالحة والهمة العلية نفس تضىء وهمّة تتوقد .

وبَعْدُ يا داعية الإسلام :

إن من جَدّ وجد ، وليس من سهر كمن رقد

هذا دبيب الليالى يُسارق نفسك ساعاتها ، وإن سلع المعالى غاليات الثمن ، وإنما ثمنها اتباع مدارس السلف ، فانظر لنفسك واغتنم وقتك « فإن الثواء قليل والرحيل قريب والطريق مخوف ، والاغترار غالب ، والخطر عظيم ، والناقد بصير »[1] .

أخى : ائت الديار البكر ، وارتد كل يوم منزل فضل لم يعرف لأحد فى عصرك ، وائت فى التنافس بجديد كأنك طليعة جيش حتى يصدق فيك قول القائل :

عجبا بأنك سالم من وحشة

فى غاية مازلت فيها مفردا .

لو قالك لك البطّالون من الكسالى « لو تفرغت لنا » فاقرع أسماعهم بصوت عمر بن عبد العزيز

وأين الفراغ ؟ ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلاّ عند الله لا مستراح للعابد إلا تحت شجرة طوبى .

كن ممن قال فيهم البنا رحمه الله :

« قد سهرت عيونهم والناس نيام ، وشغلت نفوسهم والخليُّون هجّع »[2]

من هشيم فيك أذكِ اللهبا

---

(١) الرقائق ص ١٣٧ .

(٢) إلى أى شىء ندعو الناس للشيخ حسن البنا المجموعة ٢٩١ .

من تـراب فـيك أطـلـع شـهـبـا
من لهيب الـقـب عِـلـمُ الـكـامِـل
مــقـصــد الإسلام تــرك الآفــلى
صـــد إبـــراهيم عما يـــأفـــل
فـــحوتـــه كـــالجنـــان الشـــعـــل[1]

• قيل لبعض العباد ارفق بنفسك . قال : الرفق أطلب أو : من الرفق أتيت[2] .

• لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا ، انتهبوا بأكف الجد ، ما قد نثرته أيدى البطالين ، ثم تخايلوا القيامة ، فاحتقروا الأعمال فماتت قلوبهم بالمخافة ، فاشتاقت إليهم الجوامد ، فالجذع يحنّ إلى الرسول ﷺ و « **إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة : على وعمّار وسلمان** »[3] أنفوا من مزاحمة الخلق فى أسواق الهوى ، وقوى شوقهم فلم يحتملوا حصر الديار . مخرجوا إلى فضاء العز فى صحراء التقوى ، وضربوا مخيم الجد فى ساحة المجد .

ليكن نشيدك : لا لا يا قيود الأرض
أأقنع بروضة على مزبلة والملك يدعونى إلى فردوسه الأعلى
أأرضى بخرابات البلى عن الفردوس الأعلى يالها صفقة غبن .
أأقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يدىّ

• لا يحصل خطير إلا بخطر ، فالدر فى عقر اليم .

• من لم تبك الدنيا عليه ، لم تضحك الآخرة إليه

---

(١) الأسرار والرموز .

(٢) اللطف فى الوعظ لابن الجوزى ص ١٥ .

(٣) حديث حسن : رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن أنس وقد حسنه الترمذى والألبانى فى صحيح الجامع رقم ١٥٩٤ ولكنه قال فى المشكاة حديث رقم ٦٢٢٥ . وإسناده ضعيف وإن حسنه الترمذى فإن فيه الحسن البصرى وقد عنعنه وفيه أبو ربيعة الأيادى .

لو قُرب الدر على جلابه ما لجَّ الغائص فى طلابه
ولو أقام لزما أصدافه لم تكن التيجان فى حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه إلا وراء الهول من عبابه
من يعشق العليا يلق عندها ما لقى المحب من أحبابه[1]

● وقت العارف جدّ كله لعلمه بشرف الزمان ، لا وجه للراحة ، لمّا عاينت أبصار البصائر يوسف العواقب ، قطعت أيدى الهوى بسكين الشوق ، فإذا حان حين الحين فرح سائر الليل بقطع المنزل ، وصاحت ألسنة الجد بالعاذلين « فذلكنّ الذى لمتنى فيه »

● قلوب أبت أن تعرف الصبر عنه « ما بأحشائهم عشقت فأسلو أثمان المعالى غالية فكيف يستامها مفلس ؟ »

● وكيف يُنال المجد والجسم وادع
وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

● كلما تغاظمت الهمم ، تصاغرت الجثث
ولست ترى الأجسام وهى ضئيلة
نواحل إلا والنفوس كبار[2]

لسان حاله : إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالى فيك يا منتهى شغلى

لسان حاله يقول :

قلبه تحت سماء لا يقر هو فوق الزهر ما إن يستقر
طائر ينقر نجم الحبك طائرا فيما وراء الفلك[3]

---

(١) « اللطف فى الوعظ » لابن الجوزى ص ٥١١ .
(٢) اللطف فى الوعظ ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) الأسرار والرموز .

« الكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك ، مع التعب الكثير والسفر الشاق ، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير ، والتقدم والسبق إلى الله إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل »[1]

مَنْ لى بمثـل سيرك المدلـل   تمشى رويدا وتجى فى الأوّل

أخى : استجلب نور القلب بدوام الجد إنه استعلاء ثمنه التعب ، ليكن شعارك الصبر وراحتك التعب .

● إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه أجازة ، وإنما هو « وقف لله تعالى »

● اعلم يا أخى « أن الراحة للرجال غفلة » كما يقول الفاروق رضى الله عنه وأتعب الناس من جلّت مطالبه .

● قال شعبة : « لا تقعدوا فراغا فإن الموت يطلبكم »

● سأل سائل ابن الجوزى « أيجوز أن أفسح لنفسى فى مباح الملاهى ؟ فقال له : « عند نفسك من الغفلة ما يكفيها »

● يقول ابن القيم « لا بد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم »

وانـتـبـه من رقدة الغفلـ   ـة فـالـعـمـر قـلـيـل

واطـــــرّح سوف وحتى   فــهـا داء دخـيـــل

فاخلع الراحة يا أخى وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد بن حنبل لابنه : « يا بنىّ لقد أعطيتُ المجهود من نفسى »

---

(١) الفوائد ص ١٤٠ .

رحمك الله يا ابن حنبل نفس لَهُوها التعب

إستمع إليه حين يسئل : متى يجد العبد طعم الراحة فيقول « عند أول قدم تضعها فى الجنة » .

● الطالب الصادق كلما ناله هم أو حزن جعله فى أفراح الآخرة و « من لمع فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف » كما يقول ابن الجوزي ولعمر الله ما هو بظلام ولكنها لغة اضطر إليها ليعقل مراده الراقدون[1]

ما فى الديار أخو وجد يريحك إن
بشتته بعض شأن الحب فاغترب
واسر فى ظلمات الليل مهتديا
بنفحة الطيب لا بالعود والحطب
وخذ لنفسك نورا تستضىء به
يوم اقتسام الورى الأنوار بالرُّتَّب

أخى :

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى من الدنيا ، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرىّ الكامل ،

وقل : قد عيل صبر الطبع فى سنيّه العجاف ، فعجّل لى العام الذى فيه أغاث وأعصر.

طوبى لمن أظما نفسه ليوم الرى الكامل
طوبى لمنّ جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر
طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة
إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره .

---

(١) الرقائق ص ٤٩ ــ ٦٢ .